وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا
كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ
نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾
إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا
تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا
تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ
ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى
ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

لقد دارت دروس ثلاثة مضت حول إنشاء تصورات إيمانية رصينة هي محطات أصيلة في خط هذه السورة الطويلة، والدرس الآن - وقد حان حين اختتام السورة - يقيم قواعد صارمة للنظام الاقتصادي الإسلامي، تتكفل التعاون والتكافل المتمثل في إنفاقات مفروضة وسواها، زكوات وسواها، رفضاً كل الأنظمة الإفراطية والتفريطية بحق الفقراء البائسين، رفعاً لكيانهم

في كل إنفاق إلى مستقر عز، جاعلاً أيديهم مَثلاً ليد الله، وكأن الله هو الذي يأخذ الصدقات.

فقد يراعي الله تعالى في الإنفاق على المعدمين رفعهم إلى مكانة أعلى من الواجدين، وكأنهم هم الفقراء إليهم حيث يكسبون مرضات ربهم بما ينفقون، دون منٍّ أو أذىً، بل هو إنفاق بكل تبجيل واحترام، بعيداً كل البعد عن أي تخجيل واختزام.

فقد كان هناك الإنفاق قريناً بتخيل الفقر من ورائه، أم قريناً بالنفاق، فكان من يضن بالمال إلّا برباً، أو ينفقه كارهاً مرائياً، أم يُتْبع ما ينفقه بمنٍّ أو أذى، أو يقدم الرديءَ من ماله احتجازاً للجيد منه، وهذه الآيات تعالج كل بأس وبؤس وعرقلة مادية أو معنوية في سبيل الإنفاق، ولكي يجد البائس الفقير نفسه عزيزاً غنياً حين ينفق عليه ويده هي العليا حين يأخذ الصدقات.

فقد يعالج القرآن نكبة الفقر مادياً ومعنوياً بأسلوبه الفريد في واجب الإنفاق وراجحه بصورة أديبة وسيرة أدبية فريدة، كسراً لسورة الترف وثورته، وجبراً لفورة الفقر وستراً لعورته، تنديداً شديداً مديداً بالأغنياء المترفين البخلاء، وكما نسمعه من إمام المتقين على أمير المؤمنين عليه السلام: «وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً والشر فيه إلا إقبالاً والشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً، فهذا أو أن قويت عدته وعمت مكيدته وأمكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت هل تبصر إلا فقيراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقراً».

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾:

الإنفاق لغوياً هو الإفناء، أن يؤتي ما يؤتيه دون أي مقابل من الموتى،

لا مادياً ولا معنوياً، فإنما ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دون مقابل إلا مرضات الله.

فهو إفناء للمال في ظاهر الحال، وهو تجارة مربحة بمئات الإضعاف في باطن الحال متمثلة هنا بـ ﴿حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ فهي - إذاً - بالنتيجة سبعمائة حبة، بل لا وقفة عندها ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ على هذه السبعمائة، حسب درجات الإنفاق عِدة وعُدة ومادة وكيفية آفاقية وأنفسية.

وهنا البدء بالحض والتأليف، قبل صراح الفرض والتكليف، مجتثاً كل كلفة وتثاقل عن واقع الإنفاق عند التكليف، حيث يمثل الإنفاق بمثل حبة تبذر وتنفق تحت التراب، ثم تطلع سبعمائة ضعفاً أم تزيد.

فمن ذا الذي يؤمن بالله ووعده، ثم لا يأمن تلك التجارة التي طرفها الثاني هو الله، الذي لا يجهل ولا يبخل أو يضن عما وعده من نتاج الإنفاق ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وتراه مثلاً واقعاً تمثل به ربوة الإنفاق في سبيل الله؟ إنه واقع - وإن نذراً - بطبيعة الحال، حيث المثل الذي شأنه التقريب لا بدّ وأن يكون واقعاً معروفاً وإلا انعكس شأنه إلى التغريب[1].

أم وحتى إذا لم يكن واقعاً، فقد يكفي واقع الأقل منه، المعروف عند كل أحد.

فقد يربو الإنفاق في سبيل الله - بشروطه الصالحة المسرودة هنا - على مطلق الحسنة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا . . .﴾[2] بسبعين ضعفاً وللأصلح مزيد، مهما كان لحسنة مثله ضعفه، فإن «له عشر أمثالها» في

(١) وقد شوهد ذلك في سنبلة الجاورس.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

الحسنة، تعني أقل الأضعاف ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ يعم من المحسنين غير المنفقين، في سائر سبل الإحسان[١].

وإذا كان في إنفاق المال ذلك الضعف العظيم فكيف يكون ضعف إنفاق الحال جهاداً في سبيل الله وكما يروى عن رسول الله ﷺ: «من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية[٢]...»، إذاً فالمجاهد بنفسه في سبيل الله هو ممن يشاء الله أن يضاعف له.

فليست الحسنات عند الله على حدّ سواء، بل قد تكون «سبعة»[٣] أم تزيد، كلٌّ حسب قابلية وفاعلية، تقرباً إلى الله، وتقريباً لعباد الله إلى ما يرضاه الله.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هنا طليقة تعم كل سبل الله المحتاجة إلى إنفاق «أو ليس في سبيل الله إلا من قتل...»؟![٤]

---

(١) نور الثقلين ١: ٢٨٣ في كتاب ثواب الأعمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أحسن العبد المؤمن ضاعف الله له عمله بكل حسنة سبعمائة ضعف وذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١] أقول: وما أحسنه استفادة من إطلاق «من يشاء» الشامل للمنفق في سبيل الله وسواه.

(٢) الدر المنثور ١: ٢٣٦ - أخرج ابن ماجة عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي أمامة الباهلي وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين كلهم يحدث عن رسول الله ﷺ قال: ...

(٣) المصدر أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ الأعمال عند الله سبعة عملان موجبان وعملان أمثالهما وعمل بعشرة أمثاله وعمل بسبعمائة وعمل لا يعلم ثوابه ألا الله، فأما الموجبان فمن لقي الله مخلصاً لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار ومن عمل سيئة جزي بمثلها ومن هم بحسنة جزي بمثلها ومن عمل حسنة جزي عشراً ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة والصيام لله لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل.

(٤) المصدر أخرج عبد الرزاق في المصنف عن أيوب قال: أشرف على النبي ﷺ رجل من =

حتى تحصر سبيل الله في القتال، بل و«ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة»[١] وهو سبيل من سبل الله، فلأنها درجات حسب الحاجات والحاجيات، وكما المنفقون درجات، ومادة الإنفاق نفساً ومالاً وعواناً بينهما درجات، لذلك فـ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ تختص بالدرجات التي تربو أدنى الإنفاق الصالح في سبيل الله كما وتعم سائر الإحسان، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ في رحمته ﴿عَلِيمٌ﴾ بدرجات المنفقين في سبيله[٢].

ثم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ هي مثل لمادة الإنفاق الصالح لا للمنفق فإنه لا يزداد إلا ما أنفق، أم هو يعنيه كما يعني مادة الإنفاق، حيث المنفق يزداد بإنفاقه كمالاً نفسياً في الأولى، وجزاء هو نفسه بإنفاقه في الأخرى، حيث الجزاء هو العمل، والعمل هو لزام العامل.

وهذا هو الإنفاق في سبيل الله، تقرباً إلى الله، الذي يصلح المنفق ومجتمعه من عزل المال وعضله، دون الإنفاقات المصلحية، التي تزيد

= رأس تل فقالوا ما أجلد هذا الرجل لو كان جلده في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: أوليس في سبيل الله إلا من قتل، ثم قال: من خرج في الأرض يطلب حلالاً يكف به عن والديه فهو في سبيل الله، ومن خرج يطلب حلالاً يكف به أهله فهو في سبيل الله ومن خرج يطلب حلالاً يكف به نفسه فهو في سبيل الله ومن خرج يطلب التكاثر فهو في سبيل الشيطان.

(١) المصدر أخرج أحمد عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله ﷺ: ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة.

(٢) المصدر ٣٣٧ - أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: «ما أنفقتم على أهليكم في غير إسراف ولا إقتار فهو في سبيل الله»، فيه أخرج الطبراني عن كعب ابن عجرة قال: مرّ على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله ﷺ لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان».

الأثرياء ثراء في مختلف الشهوات والمبتغيات، والفقراء المعدمين الذين لا ينفعونهم خواء وبواء.

فالذي ينفق ماله بديلاً عما يرجوه من الفقير، أو ينفقه رياء الناس، أو مناً أو أذى أما ذا من مصلحيات فاسدة كاسدة، كان ما يفسده أكثر مما يصلح، مزيداً على الترف للأغنياء، والتلف للفقراء، والله منه براء.

و﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ هنا لا تعني كل أموالهم، بل هي مبينة في سائر القرآن بالقصد، دون إسراف ولا تقتير، وأكثره العفو وهو الزائد عن الحاجة المتعودة، خالية عن الإسراف والتبذير، وأقله الإنفاقات الواجبة المستمرة، كالضرائب المستقيمة، وبينهما عوان من واجبات ومندوبات.

وقد تعني ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ كل صنوف الأموال، دون تحليق على كل مال عن بكرته، تدليلاً على أن واجب الزكاة غير محصورة في التسعة المعروفة، بل هو شامل كل الأموال قصداً في إنفاقها أو عفواً هو قمة القصد.

وذلك الإنفاق الأديب الأريب هو الذي يرفع مشاعر الإنسانية ولا يشوبها، حيث لا يمس كرامة الفقراء ولا يخدش شعورهم، حيث ينبعث عن أريحية ونقاء، ابتغاءَ مرضات الله.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾:

هؤلاء الممثل لهم بذلك المثال البارع الأمثل ليسوا هم كل المنفقين أموالهم في سبيل الله، مهما كانت نياتهم خالصة لله، بل هم ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ﴾ فإن المنفَق لهم في سبيل الله هم من سبل الله، فليُسلك لهم في الإنفاق أسمى المسالك وأصلحها، وليس سبيل الله إلا سبيل صالح السالك، فإن الله لا يوصَل إليه

بسلوك سبيله، ولا تصل إليه عائدة من إنفاق وسواه من الصالحات، إذاً فلا منَّ في سبيله أثقالاً بمال على أية حال، ولا أي أذى آخر غير المن، وأي تحميل أو تدجيل أو تذليل، اللهم إلا إنفاقاً بكل تبجيل وتجليل وكأن المنفَق عليه هو المنفِق، وهو في الحق هكذا حيث الآخذ في الأصل هو الله بسبعمائة ضعف لأقل تقدير، فـ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1] - ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾[2] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[3].

المن والأذى القرينان للإنفاق هما محظوران حاضران حاذران قد يخرجانه عن سبيل الله، وهما المُتبعَان بعد الإنفاق يخرجانه عن السبيل بعد ما كان في السبيل، مما يدل على أن من الحالات والأعمال التالية لأعمال حسنة أو حالات، ما يفسدها، كما الرياء بعد العمل، وذلك هو من الإحباط بعد الإثبات كالحبوط ولمّا يثبت، فإنهما في مسلك واحد مهما اختلفا في زمن الحبوط، بل والحابط عمله بعد ثبوت علّه أضلُ سبيلاً حيث أفسد ما أصلح، وزميله لمّا يُصلح حتى يفسد.

فـ«المن بعد الصدقة»[4] كما «المن في الصدقة»[5] مما يحبط الصدقة، وكذلك كل أذى فيها أو بعدها.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٠.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٤) نور الثقلين ١: ٢٨٣ عن الخصال عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى كره لي ست خصال وكرهها للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي، العبث في الصلاة والرفث في الصوم والمن بعد بعد الصدقة».

(٥) المصدر عن الخصال عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله كره لكم أيتها الأمة أربعاً وعشرين خصلة ونهاكم عنها - إلى قوله -: وكره المن في الصدقة». =

والمن في معنى شامل هو الإثقال بالنعمة منةً على المنعَم حسنة كما يمن الله أو سيئة كما المنُّ في الإنفاق.

وهو النقص ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[١] أي غير منقوص، كأن تنقص من كرامة المنفق عليه، أو من طاقة له في صالحك بديلاً عما أنفقت عليه.

ثم المنّان من كل منّان يعمان القال والحال والفعال، مهما اختلفت الأحوال في مثلث المن.

فمن الناس مَن يمن في إنفاق في قلبه دون إظهار بمقال أو فعال فهو أخف منا إذ ليست فيه أذى، ومنهم من يظهر منه بقاله وفعاله كما في حاله، فهو بثالوث المن أثقل مَنّاً، وبينهما عوان، حيث يظهر مَنّاً بقِالٍ أو فعالٍ، والكل مشمولة لـ«مناً» مهما شمل المن الظاهر «أذى» فإنها أعم من ظاهر المن وسواه من أذى.

فكل منٍّ أو أذىً حين الإنفاق أم تباعاً له مرفوض في شرعة الإنفاق مهما لم يكن رياء الناس إن أمكن كما في باطن المن دون إظهار، فلا منَّ في الإنفاق إسراراً ولا إعلاناً، وكما لا أذىً على أية حال في إنفاق وسواه.

فالفقير هو بطبيعة الحال يحس المنَّ حين يُنفق عليه، متأذياً من الفقر نفسه، فكيف تمن عليه أو تؤذيه في إنفاقك منا على مَنٍّ وأذىً على أذىً؟

= وفيه عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا بمنه...».

وفي الدر المنثور ١: ٣٣٧ - أخرج ابن المنذر والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله ﷺ سأل البراء بن عازب فقال يا براء كيف نفقتك على أمك وكان موسعاً على أهله؟ فقال: يا رسول الله ﷺ: ما أحسنها، قال: «فإن نفقتك على أهلك وولدك وخادمك صدقة فلا تتبع ذلك مناً ولا أذى».

(١) سورة القلم، الآية: ٣.

فإن ذلك يثقل عليه مَنُّه وأذاه من فقره والإنفاق عليه، فهما ليسا - فقط - ليحبطان إنفاقك، بل هو ظلم به وإزراءٌ.

فلتجبر أنت الغني بإنفاقك كَسره واختجاله بكل احترام وتبجيل، دون أي اختراع وتخجيل، ولكي يصبح إنفاقك له مزيد مقام واحترام، لحد يصبح سده فقره مالياً على ضوء سده نفسياً وحالياً.

فالمن والأذى كما يسقطان الإنفاق - قرينين له - عن كونه في سبيل الله، كذلك يحبطانه حين يُتبعانه وإنْ بعد زمن بعيد، فيصبح الإنفاق في سبيل الله نفاقاً وفي سبيل الشيطان، مهما كان المن - فقط - في الطوية دون ظهور، أقل إحباطاً وأكثر إثباتاً قد يسقط فرض الإنفاق واقعياً وإن لم يسقطه نفسياً[1].

والمن والأذى يبطلان الصدقة على أية حال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ...﴾.

ثم المن والأذى المتبَعان قد يدلان على أن حالة الإنفاق قبلهما لم تكن صافية لوجه الله، ضافية في سبيل الله، مهما لم يصاحباه حينه، فـ«ما أضمر رجلٌ أمراً إلا وقد يظهر في صفحات وجهه أو فلتات لسانه» فالمضمَر في الضمير لا بدّ وأن يظهر يوماً ما حيث لا يتمالك الضامر ضميره عن بروزه.

إذاً فذلك الإنفاق المُتَبع بالمن والأذى، لم يكن بذلك السليم حينه، مهما برزت علته بعد حينه، ثم المنُّ - بعد ذلك كله - عنصر كريه ذميم لئيم، وشعور واطٍ خسيس دميم، فالنفس الإنسانية السليمة لا تمن بما أعطت من نعم الله - الموهوبة له - إلا رغبة في الاستعلاء الكاذب، أو

(١) نور الثقلين ١: ٢٨٣ عن المجمع روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو من عليه فقد أبطل الله صدقته».

رغبة في إذلال الآخذ، أم لفتاً لأنظار الناس، وذلك ثالوث منحوس من الاستعلاء البلاء الخواء والكبرياء البواء.

فالمن - إذاً - هو أذى للواهب والموهوب له، استكثاراً للواهب، واستكساراً للموهوب له، ولم يكن الله ليريد من أمر الإنفاق مجرد سد الخلة المالية، مهما كان بأمر الجانبين بالمن والأذى، بل وتزكية لنفوس المنفقين، وترفيعاً لأنفس المنفق عليهم وكأنهم هم المنفقون، رفعةً كبديلة عن فقرهم، والمن يحيط هذا كله، ويحول الإنفاق سماً لاذعاً وناراً محرقة، وهو أنحس دركات الأذى، محقاً للإنفاق وتمزيقاً للمجتمع وإثارة للضغائن والأحقاد، بديلاً عن التؤودة والأمجاد!.

وهنا يظهر السر في: احذر شر من أحسنت إليه، بوجه ما، فإن ردّ الفعل للإحسان بطبيعة الحال في النفوس الإنسانية، ولا سيما الأبيّة، هو العداء العارم يوماً ما.

فإن الآخذ - أياً كان - يحس في نفسه بالضعف والنقص والانكسار أمام المعطي، مناً ودون منّ، إلّا أن يحبر نقصه بكل تبجيل واحترام، إنفاقاً محبباً ومما تحبون فـ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

ففي مثلث الإنفاق لا يأمن المنفق من بأس الإنفاق وبؤسه إلا أن يقرنه بما يزيل وصمة الإنفاق، ويرفع سمته إلى مرتفع قد يكون أرفع من المنفق، ولذلك قد تعتبر يد الآخذ يد الله: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ...﴾[2] تأديباً أديباً لكيفية الإنفاق، أن تكون أربى وأولى مما ينفق على نفسه وأهليه، دون إفراط ولا تفريط.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.